

المحاضرة السادسة

name professor subject : Adel Rashid Hussein

اسم استاذ المادة : عادل رشيد حسين

Subject name : Geographical thought

اسم المادة : الفكر الجغرافي

اسم المحاضرة : الفكر الجغرافي العربي الاسلامي

Presentation neme : Arab Islamic Geographical Thought

الفكر الجغرافي العربي الاسلامي

لقد برع العرب المسلمين في كافة العلوم في الفترة الممتدة منذ بداية الفترة ، الاسلامية وحتى سقوط الخلافة العباسية وكان لعلم الجغرافية اهتمام خاص من قباهم وقد صرفت جهود كبيرة ومتزايدة إلى دراسة الفكر الجغرافي العربي وتطوره واعتداد كثير من كتاب الغرب أن يصفوا جهود المسلمين بأنها متألقة في مجالات عديدة من التخصصات الجغرافية سواء منها الرحلات أم الجغرافية الوصفية ، أم الإقليمية ، أم الفلكية أم الخرائط ، وفي مجال التقاويم الجغرافية .

وقد نتج ذلك بسبب ما يتمتع به العرب من أصالة في تفكيرهم وحضارتهم ، اضافة إلى ما استوعبوه من معارف قديمة غربية وشرقية التي استخدموها في استخراج خطوات التقدم العلمي بصورة ملحوظة ، فما كانوا مجرد مقلدين منقادين تستبعدهم النماذج الاجنبية ، بل كانت لديهم خصائصهم من العزم والعقل والكفاية المتميزة مما أبرز الطابع الفريد لتلك الخصائص على كل ما تسلموه او استعاروه من غيرهم .

واستمرت جهود العرب في الابداع في مختلف فروع الجغرافية وخاصة في القرن الرابع الهجري (العاشر الميلادي) الذي بلغ فيه الأدب الجغرافي العربي أوجه في مجال تطوره الخلاق كحركة مستقلة قائمة بذاتها . وهو يذخر بمصنفات هامة في محيط الجغرافية الإقليمية ، غير أن الانتاج الجغرافي فيه لم يقف عند هذا الحد فقد تم في هذا القرن ايضا تشكيل ما يسمى (بالمدرسة الكلاسيكية) للجغرافية العربية . كما شهد ايضا ميلاد أكثر اثار الكارتوغرافيا العربية أصالة . وقد بلغ عدد الرحالة في هذا القرن حدا كبيرا اذ اتيح لل المسلمين أن يحوزوا قصب السبق في ميدان الرحلات والاكتشافات والدراسات الجغرافية . وافتادت اوربا بما كان عند المسلمين من علم باجزاء العالم المعروفة في القرون الوسطى .

ولم يقف دور العرب عند تلك الحدود بل كانت لهم جهود واهتمامات كبيرة في الفلك وكتب الزيجيات ، التي تعنى في الجغرافية الجداول الفلكية والجغرافية الخاصة بخطوط الطول ودوائر العرض .

فكان الاهتمامات الدينية والفلكلورية تحمل من المحتم على الفلكيين ان يختصوا بمسألة تحديد خطوط الطول ودوائر العرض الجغرافية لمختلف الأماكن بدقة . وقبل كل شيء استخدمت المعرفة الصحيحة بخطوط الطول في اقامة المزاوئ الشمسية الأفقية (البسطة) فكانت تزين المبادين الفسيحة حيث تقع المساجد في العادة (مثلما فعل اليوم بساحات المين) وتوضع هذه المزاوئ الشمسية تبعه لدائرة العرض في مكان معين.

وعن تقدم العرب في مجال علم الفلك كتب أحد المستشرقين يقول « وعلم الفلك هو من اول ما اعتنى به في بغداد، فقد اخذ خلفاء بنى العباس ، منذ اتخاذهم بغداد عاصمة لدولتهم يحثون على دراسة علم الفلك والرياضيات . وأدت مدرسة بغداد الفلكية في زمن هارون الرشيد والمأمون اعمالاً مهمة ، وأدمجت مجموعة الأرصادات التي تم امرها في المراسد ببغداد ودمشق في كتاب (الزيج المصحح).

ولكي نطلع على الفكر الجغرافي العربي الإسلامي وما توصل اليه العرب في هذا المجال من افكار جديدة وابداعات علمية رصينة ، شهد لهم العالم بأصالتها وأهميتها. سنحاول بحث الموضوع على أساس تقسيمه حسب مجالات بحثها التخصصي والتي هي في المجالات التالية : -

١) الرحلات الجغرافية

٢) في مجال رسم الخرائط

٣) الجغرافية الرياضية والفلكلورية

٤) الجغرافية الوصفية والإقليمية

٥) الملاحة والاساطيل العربية.

٦) الجغرافية الطبيعية

أولاً : الرحلات الجغرافية :

تمثل الملاحظة الشخصية أهم مصدر من مصادر المعرفة الجغرافية إلى جانب المصادر الأخرى ، كالاعتماد على تراث السلف والحساب الرياضي والرصد الفلكي وتمثلت الملاحظة الشخصية بالرحلات التي قام بها الجغرافيون العرب المسلمين وغيرهم من هواة الرحلات واعضاء الوفود الرسمية ومحترفو التجارة مع الشرق

والغرب . فكان لهم الفضل في اتساع معرفة الجغرافيين بارجاء العالم المعروف ، اذا اضيفت إلى خريطة العالم المعروف آنذاك جهات لم تكن معروفة من قبل مثل اواسط وشمال آسيا (رحلة ابن فضلان) في وصف بلاد الترك

والخزر والروس والصقالبة سنة ٣٠٩ هـ - ٣١٠ هـ. وفي غرب افريقيا (رحلة ابن فاطمة) وفي سودان وادي النيل (رحلة ابن سليم الأسواني) في القرن الرابع الهجري .

كذلك تم التعرف على مراحل المحيط الهندي وجزره والساحل الشرقي لافريقيا حتى سفاله الزنج في مقابل جزيرة مدغشقر ورسمها في خرائط . كما اضيف إليها التعرف على الشرق الأقصى (رحلة ابن بطوطة ، ورحلة ابن جبير). كما امتدت معرفة العرب فشملت الصين وكوريا موريما وجزر اليابان ، وكذلك وصفهم لسواحل اوربا الشمالية الغربية على نحو ما نجد ذلك عند يحيى بن الحكم الغزال .

وقد سلك الرحالة تلك المناطق والتي لم يسبق لها أن سلكها ، وقدموا عنها وصفة جغرافية مفصلا سهل التعرف عليها ورسم خرائط لها. وكانوا دقيقين في وصفهم لتلك المناطق الجغرافية.

وكان التجار يحملون السلع بين الأسواق المختلفة من العالم ويقومون بالرحلات الطويلة في هذا السبيل وحسبنا أن نشير إلى الكنوز الوافرة من النقود الإسلامية التي عثر عليها في روسيا وفنلندا والسويد والنرويج وسويسرا والجزر البريطانية والتي ترجع إلى الفترة الواقعة بين نهاية القرن الأول وبداية القرن الخامس الهجريين (السابع وبداية الحادي عشر الميلاديين).

وكانت الرحلة تمثل الوجه المشرق للجغرافية العربية ، وفي بطنها معين لا ينضب من المعلومات التاريخية والاقتصادية والبشرية والانثروبولوجية والطبوغرافية عن جميع مناطق العالم الإسلامي . حتى أن كبار الجغرافيين المسلمين اعتمد على الرحلة في جمع معلوماتهم أو التأكد مما سمعوه او نقلوه . ترى انها كانت تعتبر عندهم بمثابة الدراسة الميدانية في الدراسات الجغرافية في يومنا هذا .

ومن العوامل التي ساعدت على ظهور وتقدير أدب الرحلات الجغرافية عند العرب ما يلي:

١) اتساع أراضي الخلافة الإسلامية ، فقد امتدت الفتوحات من حدود الصين شرقا حتى المحيط الأطلسي غربا ثم البحر المتوسط بجميع جزره اضافة إلى إسبانيا وفرنسا.

٢) كون الحج أحد فرائض الدين الإسلامي ، وعندما يفد المسلمون من كل جهة من جهات العالم كانوا من الطبيعي أن يقضوا أشهرا في سفرهم إلى الديار المقدسة مما يدفعهم إلى التزود بالمعلومات الجغرافية .

٣) الرحلة في طلب العلم وتأكيد الدين الإسلامي على ذلك .

٤) التجارة ودورها في تشجيع الاسفار . وكان اتساع شبكة طرق المواصلات والامن السائد اثراهما في التشجيع على شد الرحال والطواف في البلدان وكانوا يشعرون في اي بلد يحلون فيه كأنهم في بلدتهم .

٥) الاستعداد الفطري لدى العرب النابع من واقع حياتهم في جزيرة العرب .

٦) الاتصال بالثقافات الأجنبية عن طريق الترجمة .

وكان التأليف الجغرافي قد اخذ العديد من الاتجاهات العلمية والتي يمكن اجمالها بما يلي :

أ- الاهتمام بأقطار العالم الاسلامي من حيث وصفها اقليمية كما عند كل من البلخي والاصطخري وابن حوقل والمقدسي والمسعودي والادريسي ، الذين عملوا على تسجيل معلومات جغرافية دقيقة وامينة عن اقطار العالم الاسلامي وخاصة اقطار الوطن العربي تستند على المشاهد الشخصية .

ففقد طاف اليعقوبي بالجزيرة العربية وببلاد الشام والعراق ومصر والمغرب العربي والأندلس وارمينية وبلاط الهند، وكتب مؤلفه المشهورة (كتاب البلدان) الذي يعتبر من الكتب المهمة في الجغرافية .

كما تنقل المسعودي في ارجاء العالم المعروف اذاك فزار ايران والهند وسرنديب ومدغشقر وازربیجان وجرجان والاناضول ، كما تجول في البحر الأحمر والبحر العربي والمحيط الهندي وبحر الصين ، وزار معظم اقطار الوطن العربي ودون معلوماته الجغرافية في موسوعته (مروج الذهب ومعادن الجوهر) الذي اختصر فيه كتابين كبيرين له والذي فرغ من تصنيفه سنة ٣٣٦ هـ - ٩٤٧ م. وهو كتاب يجمع بين التاريخ والجغرافية والسياسة وال عمران ، فهو يتضمن معظم ضروب العلم في عصره . ويتميز على غيره من الكتب العربية بكثرة ما فيه من اخبار الامم التي كانت تحيط بالعلم الاسلامي في العصور الوسطى ، وبندرة هذه الاخبار ويفيد الاصطخري منهجه في كتابه (المسالك والمحالك) فيقول : اما بعد فإني ذكرت في كتابي هنا اقاليم الأرض على الممالك ، وقصدت فيها بلاد الاسلام بتصحيل مدنها، وتقسيم ما يعود بالاعمال المجموعة اليها . ولم اقصد الاقاليم السبعة التي عليها قسمة الأرض ، بل جعلت كل قطعة افردتتها مفردة مصورة تحكي ذلك الاقليم ، ثم ذكرت ما يحيط به من الاماكن ، وما في اضعافه من المدن والبقاء المشهورة والبحار والأنهار .

وقد ساح ابن حوقل في بلدان عديدة من بلدان الاسلام نزار الأندلس وشمال افريقيا والهند وارمينيا وبلاط ما وراء النهر واخرج كتابه (صورة الارض) الذي يذكر في مقدمته « هذا كتاب المسالك والممالك ، والمفارز والمهالك ، وذكر الاقاليم والبلدان على مر الدهور والازمان وطبعها اهلها وخواص البلاد في نفسها وذكر جبارياتها وخراجها ومستغلاتها وذكر الانهار الكبار واتصالها بشطوط البحار وما على سواحل البحار من المدن والأقصارات ، ومسافة ما بين البلدان للقارتين والبحار مع ما ينضاف إلى ذلك من الحكايات والاخبار والنواذر والآثار .

وقد طبع الكتاب مرتين في ليدن ، ففي الطبعة الأولى نشر باسم « المسالك والممالك والمفاوز والمهالك ، ثم حسنـت هذه الطبعة ونشرت بعنوان « صورة الأرض ».«.

وقد قسم ابن حوقل كتابه إلى قسمين :

الأول : شمل على بحث صورة الأرض وديار العرب والبحر الأحمر والمغرب والأندلس وصقلية ومصر والشام وبحر الروم والجزيرة والعراق .

اما القسم الثاني : فقد شمل على دراسة الأحواز ، وفارس وكرمان والسندي وارمينية واذربيجان والران والجبار والديلم وطبرستان و بحر الخزر و مفارزة خراسان و سجستان وما وراء النهر .

ب - التخصص في قطر واحد كما هو الحال عند الهمداني في وصفه جزيرة العرب والبيروني في الهند، الذي يعتبر كتابه قمة في الدقة وكتب عنه احد المستشرقين يقول « لا نملك ازاء هذا الا الانحناء في خشوع واحترام امام النتائج العلمية الباهرة التي توصل اليها هذا العالم والتراث العلمي الحافل الذي انتجه في ظروف الزمان الذي عاش فيه .

ج- وضع المعجمات الجغرافية التي بدأت في القرن الخامس الهجري مثل كتاب « معجم ما استعجم » للبكري الذي ذكر عنه في مقدمته « هنا كتاب معجم ما استعجم ذكرت فيه ان شاء الله جملة ما ورد في الحديث والاخبار والجال والأثار والمياه والا بار والدارات والحرار منسوبة محددة ومبوبة على حروف المعجم مقيدة ، فاني لما رأيت ذلك قد استعجم على الناس اردت ان افصح عنه بان اذكر كل موضع مبين البناء معجم الحروف حتى لا يدرك فيه لبس ولا تحريف »

و (معجم البلدان) لياقوت الحموي الذي انجزه في ٦٢١ هـ / ١٢٢٤ م، الذي سجل فيه بترتيب ابجدي وصفا لما استطاع المؤلف أن يعلم شيئاً عنه من المدن والمواضع المختلفة . كما قدم علاوة على ذلك وصفة مفصلة لديار الاسلام من الاندلس إلى بلاد ما وراء النهر والهند بالحال التي كانت عليه في القرن الثالث عشر الميلادي.

(و أهمية معجم ياقوت يتجاوز بكثير حدود الأهداف الجغرافية الضيقة ، فهو فوق ذلك يمثل آخر انعكاس لتلك الوحدة المثلالية للعالم الاسلامي تحت حكم العباسيين ، رغمما من انها كانت في واق الأحوال اثراً من آثار الماضي).

فهو افضل مصنف من نوعه لمؤلف عربي للصور الوسطى ، ولتكوين فكرة عن حجمه . يكفي أن نذكر أن المتن المطبوع يضم ثلاثة الاف وثمانمائة واربعة وتسعين صفحة . وقد تضمن جوانب عديدة من الجغرافية في صورها الفلكية والوصفية واللغوية والرحلات ايضا. كما تتعكس فيه الجغرافية التاريخية إلى جانب الدين والحضاره والاثنولوجيا (علم الاجناس والفصائل البشرية) والأدب الشعبي (فلكلور والأدب الفني وذلك في القرون الستة الأولى للهجرة ، ويقرب عدد الشواهد الشعرية وحدها فيه ، وذلك بين صغيرها وكبيرها، من الخمسة الاف استطاع الناشر أن يحقق منها ما يقرب من ثلاثة الاف من المصادر الأخرى.

د- وضع الموسوعات الجغرافية التي بلغت ذروتها في القرن الثامن الهجري (كنهاية الارب) للنويري و (صبح الاعش) للقاشندي و (مساك الابصار) لا بن فضل الله العمري الذي كان يتمتع بثقافة عريضة وذوق أدبي مرهف فقد وقام هذا من ضيق الأفق الذي يسوق اليه الوسط الدواويني الذي مضى فيه كل حياته ، وتعادل موسوعة العمري

من حيث الضخامة موسوعة النويري ويبلغ عدد اجزاءها السبعة والعشرين جزءاً موزعة بين دور المخطوطات المختلفة ، وعلى الرغم من ضخامة هذا الحجم فان مادتها تقتصر على الجغرافية والتاريخ وحدهما . وينقسم المصنف الى قسمين أحدهما مكرس للارض والآخر لسكانها من مختلف الشعوب .

وتعتبر رحلة ابن جبير من أهم كتب الرحلات في الأدب الجغرافي العربي نظرة الدقة ملاحظاتها وقيمة معلوماتها وسعة المناطق والاقطاع التي تناولتها في الوصف والتحليل فقد شملت كل من اقطار شمال افريقيا وال العراق وبلاد الشام وبعض جزر البحر المتوسط، اضافة إلى بلاد الحجاز . وقد سجل مذكراته اليومية بالتأريخين الهجري والميلادي خلال تلك الرحلة . فصور فيها المعالم الجغرافية للبلدان التي زارها وتحدث عن أوضاعها الاقتصادية والاجتماعية والسياسية .

وقد ولد محمد بن أحمد بن جبير في سنة ٤٦٨ هـ - ١٠٧١ م في بلنسية في الاندلس لكنه لم يلبث أن غادرها إلى المشرق بعد زوال دولة آل عباد التي شغل أبوه فيها مركزاً مرموقاً ، وكان هدفه الدراسة ، ولم يتجاوز عمره آنذاك السادسة عشرة بعد . وفي الشام تلذم على واحد من مواطنه من أقاموا هناك ، وفي بغداد استمع إلى دروس الغزالى وأصبح تلميذاً للنوى التبريزى الذي كان يدرس آنذاك بالمدرسة النظامية .

وتمثل رحلة بن جبير أهمية قصوى في تصوير حياة ذلك العصر ، وتعتبر من الناحية الفنية ذروة ما بلغه نمط الرحلة في الأدب العربي . أما عرضه العام فيستهدف الصنعة والاناقة . وهو كثيراً ما يلجأ إلى السجع الذي يعالج بالكثير من المهارة دون أن يبالغ فيه أو يضطر القاريء إلى تكليف الجهد في فهمه .

ولكي نعطي فكرة واضحة عن المجهود الكبير الذي بذله الرحالة العرب في هذا المجال ، والاقطاع والمناطق الجغرافية التي قاموا بزيارتها ووصفها بشكل شيق ودقيق سورد ابن بطوطه / ابو عبد الله محمد بن عبد الله الطنجي الذي ولد في سنة ٧٠٣ هـ - ١٣٠٩ م كنموذج على تلك الجهود القيمة التي قاموا بها بشيء من التفصيل .

فهذا الرحالة المشهور لم يكن نقالة يعتمد على كتب الغير، بل كان رحالة انتظم محيط اسفاره عدداً كبيراً من الأقطاع. وقد جاوز تجواله مقدار ٧٥ ألف ميل في تلك الظروف .

فقد خرج من طنجة مسقط رأسه في اليوم الثاني من شهر رجب عام ٧٢٠ هـ قاصداً حج بيت الله الحرام ، ويغلب الظن ان ابن بطوطة كان ينوي اداء فريضة الحج فحسب، لكن عصا الترحال القت به في مختلف البلاد ، فلم يكتب له العودة إلى وطنه إلا بعد أكثر من ربع قرن .

فقد بدا تحركه من طنجة مارأ في طريقه على جميع المدن الكبرى شمال افريقيا حتى بلغ الاسكندرية ، ثم غادرها إلى دمياط فركب النيل إلى القاهرة التي كانت آنذاك تمر على فترة من الازدهار . ومن القاهرة تابع النيل إلى اسوان ومنها اتجه شرقاً مخترقاً الصحراء حتى بلغ مرفاً عيذاب على البحر الأحمر وهي الفرضة التي كانت تتجه منها

السفن عادة إلى جدة ، غير أن سير السفن المصرية بالبحر الأحمر كان متوقفة إنذاك بسبب الحرب التي كانت مشتعلة بين قبائل الـجة والمماليك مما اضطر معه ابن بطوطة إلى العودة إلى القاهرة .

وهناك واتته فكرة زيارة الشام لينضم إلى قافلة الحجاج من دمشق ، ثم زار فلسطين والعراق ومر بالبصرة في طريقه إلى إيران فزار شيراز ثم زار الموصل وديار بكر من مدن الجزيرة ثم رجع إلى الكوفة وغادرها إلى بغداد وكان العام قد انصرم مما يسر عليه فرصة تادية الحج مرة ثانية ، وقد أقام عليه لفترة من ٧٢٩ هـ - ٧٣٠ هـ حتى توفي من مرض شديد كان قد ألم به وتعرف خلال ذلك على عدد من العلماء المقيمين بها ، ولم يلبث أن غادرها إلى جدة ومنها عبر البحر الأحمر حيث اتجه إلى الساحل الشرقي للبلاد العربية على الخليج العربي ، وقد مر في طريقه على عمان وهرمز والبحرين وزار مكة للمرة الثانية فمر في طريقه إليها على اليمامة ثم اجتاز البحر الأحمر إلى عيادات ومنها إلى القاهرة .

أما الدورة الثانية من اسفاره فكانت وجهتها الأقطار الشمالية ، فقد اجتاز الشام حتى دخل آسيا الصغرى ، وفيما يتعلق بهذه الأخيرة فإن خط سيره يعتره خلط شديد فقد اجتاز ابن بطوطة آسيا الصغرى حتى وصل إلى سينوب على البحر الأسود ثم عبر البحر فنزل شبه جزيرة القرم عند ميناء كفا وهي فيودورسيا حاليا ، وفي طريقه من ابن بطوطة على سلخات فجال في جميع أنحائها ، ثم زار روسيا الجنوبية ومن هناك وصل إلى أرض بلغار الفولفا ثم خرج من استراخان مع قافلة أميرة بيزنطة بلغ القسطنطينية ومن هناك رجع مرة ثانية إلى مملكة الأوردو الذهبي ، ثم عبر الفولفا فوصل إلى خيوة وغادرها إلى بخارى ، ثم أفغانستان ودخل الهند ، وفي دلهي حظا ابن بطوطة بدرجة عالية من النفوذ وعين في منصب القضاء لمدة خمس سنوات . وفي تلك الأثناء جهز السلطان سفارته إلى الصين وكان ابن بطوطة من أعضائها ، ولم يوقف في محاولته الوصول إلى الصين برا فابحر من فليقوت إلى جزر الملديف . وهناك مضى زهاء عامين شغل خلالهما مرة أخرى منصب القضاء وزار سلان البنغال (بنجالا) ، والهند الشمالية واندونيسيا ومن هناك اتجه إلى كانتون بالصين .

وفي طريق العودة أخذ السفينة من سومطرة إلى ظفار في جنوب الجزيرة العربية فبلغها عام ٧٤٨ هـ / ١٣٤٧ م ، ومرة أخرى نراه ضاربا في فيافي إيران والعراق والشام ومصر ثم أدى فريضة الحج للمرة الرابعة .

وبعد ذلك ذهب إلى فلسطين وعقب ذلك بقليل احت عليه رغبة جامحة في الرجوع إلى وطنه ، فأخذ طريق العودة مارأ على مصر وتونس ، وهناك واتته فكرة زيارة جزيرة سردينيا (سردانية) وفي هذه الرحلة تعرض مرتين لهجوم لصوص البحر . وعلى الرغم من هذا فقد حالفه الحظ فتقدم في طريقه إلى فاس مارأ على تنس وتلمسان وتازا ، حتى بلغ بلاط السلطان أبي عنان في نوفمبر من عام ٧٠٠ هـ / ١٣٤٩ م وهناك انتهي به المطاف وقوبل بما هو أهل له من التقدير والاجلال .

بيد ان تجواله لم يقف عند هذا الحد فقد أبقي قطراً اسلاميًّا لم يكن قد زارهما بعد أحدهما دولة غرناطة التي لم تستغرق زيارته لها وقتاً طويلاً ، وفي طريقه زار قبر امه بطنجة ثم عبر مضيق جبل طارق إلى رندة فما لقاء واقام مدة اطول بعض الشيء في غرناطة ثم رجع ابن بطوطة إلى المغرب عابراً مضيق جبل طارق للمرة الثانية .

غير أنه لم يلبث أن خرج في عام ٧٥٣ هـ في رحلة نحو جوف افريقيا وظل وصف هذه الرحلة الأخيرة لا يفضله شيء إلى عهد الرحلات الأوربية في القرن التاسع عشر . وقد مر ابن بطوطة بسجل ماسة في طريقه إلى تميكتو بملكية مالي التي لم يكن قد مر على اعتناقها الإسلام عهد طويل . وفي طريق العودة بعد أن زار معادن النحاس بتكدا بدأ في شهر ايلول ٧٥٤ هـ / ١٣٥٣ م رحلة شاقة استغرقت بضعة أشهر في صحبة قافلة من التجار اخترق خلالها هضبة «اهكار» بعد أن مر في طريقه على واحة اغدس ثم عبر جبال أطلس شتاء في ظروف قاسية من الشظف الشديد إلى أن بلغ فاس في نهاية عام ٧٥٤ هـ ، وفي هذه المدينة أمضى البقية الباقيه من حياته لم يتم خلالها باي تجوال حتى وافته المنية في عام ٧٠ هـ / ١٣٩٩ م ، لذا فقد عد ابن بطوطة سيد الرحالة العرب والمسلمين ، وقد نالت رحلته المسمة (تحفة الناظر في غرائب الاسفار) كل عناية واهتمام .

ثانياً : رسم الخرائط :

لقد تطور علم رسم الخرائط عند الجغرافيين العرب على ثلاث مراحل هي :

(١) المرحلة الأولى : ويمثلها في القرن الثالث الهجري كل من (الخوارزمي) . (توفي سنة ٢٦ هـ - ٨٢١ م) الذي ألف كتاب (صورة الأرض) وضمنه عدة خرائط ينظر إليها على أنها محاولة للمزج بين الخريطة المامونية وخريطة بطليموس ، بنهج خاص مستقل له طريقه الخاصة في تقسيم الأقاليم السبعة . ودليل ذلك ما اضافه الخوارزمي على خريطة نهر النيل التي اضاف إليها في منابع النيل الاستوائية بحيرة ثالثة عند التقائه النهرين الخارجين من البحيرتين عند خط عرض ٢ شمال البطيحة الصغرى كما أنه جعل نقطة التقائه النيل الأزرق بالأبيض عند خط عرض ١٠ شهر وهي أقرب إلى الصواب في حين جعلها بطليموس عند خط عرض ٣٠، ١١ شهر .

اما الخريطة المامونية فهي مصور جغرافي للعالم موضح عليها اسماء الاقطار والمدن المعروفة في كل اقليم وقد عملت لل الخليفة المأمون ١٩٩ - ٨١٤ هـ / ٢١٨ - ٨٣٣ م واجتمع على صناعتها سبعون من علماء عصره ، ومنهم الخوارزمي الذي كان ينتمي إلى دائرة فلكي المأمون وكان على صلة وثيقة بدار الحكم المشهورة .

وتعتبر هذه الخريطة هي أول خريطة للعالم من نتاج الحضارة العربية الإسلامية .

(٢) المرحلة الثانية : وهي مرحلة القرن الرابع الهجري . وقد كانت مستقلة أكثر من الأولى وهي خرائط (اطلس الاسلام) الذي يمثله البلخي والاصطخري وابن حوقل والمقدس . وسميت كذلك لأنها تغطي اقاليم العالم الاسلامي

سلسلة من الخرائط التي تتمشى مع التقسيم الجغرافي الذي ابتدعه هؤلاء مخالفين بذلك التقسيم السباعي للمعمورة الذي كان سائداً من قبل الفكر الجغرافي القديم وعند أصحاب المدرسة التقليدية .

(٣) المرحلة الثالثة : ويمثلها الادريسي في القرن السادس الهجري وتمثل فيها افضل ضروب العناية الجغرافية من دقة في رسم الخرائط استناداً على الجغرافية الرياضية ولاتساع الرسم بحيث شمل جميع العالم المعروف .

وكان للعرب المسلمون جهود كبيرة في علم الملاحة وبخاصة الخرائط او المرشدات البحرية وقد برع في هذا المجال كل من المقدسي الذي كان يطلع على ما عند الملاحين من دفاتر ويتدارسها وتعول عليها ويتدبرها ويقابلها بالخرائط التي معه ويصحح ما فيها من خطأ ، فقد كان بينهم كثير من الفلكيين وعلماء الرياضيات الذين اعدوا الخرائط الملاحية وحسبوا اطوال وعروض المحيطات ولذا فقد تميز عن سبقه من الجغرافيين في رسم الخرائط فاخر اقرانه وانتقد سابقه .

كما اهتم المسعودي بعلم الخرائط البحرية التي يستعملها الربابنة في المحيط الهندي والبحر الرومي (المتوسط) وقد اشاد باهميتها لها لاصحابها من بعد وحذف يدفع السالكين في البحر ان يهتدوا بما يقولونه .

لقد جاء اتجاه الجغرافيون المسلمين الجديد وليد اصالة جغرافية عربية حيث ان الدراسة الاقليمية ، وفقاً لنظام الاقاليم السبعة ، الذي كان سائداً لها عيوبها ، ومن ثم جاءت عقلية الجغرافيين البلدانيين الخرائطيين بالدراسة الجغرافية الاقليمية على اساس اختيار اقاليم جغرافية هي عبارة عن مقاطعات او ولايات سياسية تمثل كل منها وحدة جغرافية ، ثم جعلوا لكل قطعة او اقليم تصويراً او شكلاً (أي خريطة) .

ونفذ من كتب الأزياج خطوات عند علماء الجغرافية العرب ، اذ جاءت على درجة عالية من الصحة ، وصححت اخطاء الجغرافيين القدماء وبخاصة بطليموس واضافت وصفاً للظاهرات الطبيعية والبشرية .

أهم العلماء العرب الذين اهتموا برسم الخرائط

(١) **البلخي** : ابو زيد احمد بن سهل البلخي توفي ٣٠٧ هـ و هو رائد مدرسة البلدانيين الخرائطيين المساهمين في اطلس الاسلام وقد ارسى : بذلك اساس سلسلة جديدة من المؤلفات الجغرافية المشتملة على خرائط وهو جغرافي رياضي الف كتابه المسمى (المسالك والممالك) الذي تضمن الاشكال او صور الاقاليم . ولم يصل اليانا هذا الكتاب المهم ، الا ان مضمونه وصل برواية الاصطخري الذي عاصر البلخي وضمن كتابه نفس مجموعة الخرائط المنسوبة للبلخي او انه قد استفاد منها .

٢) الاصطخري : ابو اسحق ابراهيم بن محمد المعروف بالكرخي توفي سنة ٣٢٣ هـ

لقد جاءت طرائقه في رسم الخرائط متطابقة مع طريقة البلاخي وقد قسم العالم الاسلامي شأنه في ذلك شأن البلاخي إلى عشرين اقليمًا وافرد لكل اقليم صورة على حدة بين فيها شكل ذلك الاقليم وما تقع فيه من المدن ، وسائر ما يحتاج إلى علمه ما أتي على ذكره في موضعه كما انه اخذ لجميع الأرض (المعمورة) خريطة في مستهل كتابه.

وهذا منهج جغرافي سليم اذ بعد ذلك يتبع هذه الخريطة بخرائط اقليمية تفصيلية وقد ادخل مفاهيم جديدة لعلم الخرائط عند المسلمين يجعله الخريطة اساساً للبحث الجغرافي ويقول المرحوم الدكتور ابراهيم شوكة عن كتاب الاصطخري أن كتاب الاصطخري لم يشاركه به احد ولم يعول بتاليه على احد من الناس و بهذا يعتبر الاصطخري اباً لمدرسة اصيلة تعتبر فتحة في علم الجغرافية عند العرب ولم يؤلف الكتاب مثلاً عن كتب او كراسيس الا في موضع قليلة بل استند اكثره على المشاهدة والعيان)

٣) ابن حوقل : ابو القاسم محمد بن حوقل النصبيي المتوفي ٣٣٦ هـ / ٩٧٧ م

لا تختلف مقدمة ابن حوقل كثيراً عما ذكره الاصطخري في مستهل كتابه الا في بسط القول واياضاحه بصورة اكبر وهذا القول ينسحب على الكتاب كله وعلى كثير من الخرائط ايضاً . ولقد قام ابن حوقل كتابه وخرائطه على اساس واسع من المعرفة الجغرافية بالاعلام وحقيقة . وعلى اساس التصور السليم للظاهرات الجغرافية وكانت له القدرة على تصويب اخطاء السابقين في مجال رسم الخرائط حتى انه استدرك على بطليموس ما نسب اليه بشأن . خرائط بحر الخزر (الأسود).

وتبدو قيمة الخريطة و أهميتها عند حين يستغنى بها عن ايراد تفاصيل في متن كتابه ، وهذا ما حدث منه بالنسبة لمركز الاستقرار الواقع على فرع دمياط .

٤) المقدسي : شمس الدين ابو عبد الله محمد بن أحمد المعروف بال بشاري ٣٩٠ هـ / ١٣٣٠ هـ

لقد اعد المقدسي تقسيم العالم الاسلامي الى اربعة عشر اقليمًا وافرد لكل اقليم خارطة ، فهو اذن يخالف تقسيمات سابقة عن قصد ، فهو لا يتبع التقسيم إلى سبع اقاليم او إلى عشرين اقليمًا ، ويختار لتقسيماته الجديدة العدد من المبررات والأسس الجغرافية من طبيعية وبشرية .

ويحدد الهدف بقوله انه سعي إلى (تصوير الاقاليم وتفصيل السكور وتوضيح الطرق ووصف المين) ولذلك فقد اطلق على كتابه اسم (المسافات والولايات) كما قام بتفصيل كل كور في كل اقليم ، ونصب انصارها وذكر قصباتها ورتب مدنهما واخبارها ، بعد ما مثل ورسم حدودها وخطط وحدد طرقها المعروفة ولونها باللون الاحمر وجعل رمالها الذهبية بالصفرة وبحارها المالحة بالخضراء ، وانهارها المعروفة بالزرقة وجبالها المشهورة بالغيرة

٥) الادريسي : ابو عبد الله محمد بن محمد بن عبد الله ٤٩٣ هـ / ٥٦٤ هـ

لقد نال الادريسي بفضل ملكاته الممتازة في رسم الخرائط مكانة مرموقة بين الجغرافيين العرب المسلمين حتى عد اعظمهم واعتبر اطلسه اهم اثر للخرائط التي رسمت في العصور الوسطى ، ويمثل في نفس الوقت القمة التي بلغها المسلمين في رسم الخرائط.

وقد اراد الادريسي ان يفحص ويتأكد من مدى صحة ما اتفق عليه الجغرافيون الذين سبقوه في ذكر اطوال ومسافات البلاد وعروضها ، فاحضر اليه لوح الترسيم ، واقبل بختبرها بمقاييس من حديد شيئاً فشيئاً ، مع نظره في الكتب المقدم ذكرها وترجحه بين اقوالهم ، وأمعن النظر في جميعها حتى وقف على الحقيقة فيها .

وقد رسم الادريسي صورة الأرض مرتين :

الأولى: هي صورة كرة او دائرة هي من الناحية الخرائطية اقرب للدقة من الصورة.

الثانية : هي المبسوطة وهي المشهورة والتي صاح فيها أخطاء السابقين واضاف مواضع كثيرة في خريطيته التي تشكل أول اطلس متكامل للعالم وعليه فان خرائطه في عصره تمثل القمة التي وصل اليها فن الخرائط في العصر الوسيط لأنها تعد نقطة تحول في تطور علم الخرائط .

٦) الزهري : ابو عبدالله محمد بن أبي بكر توفي ٤٤٥ هـ

اووضح في كتابه الجغرافية ان لفظ جغرافية يشمل الخريطة (خريطة الدنيا) ووصفها او شرحها كذلك وقد اجمل ما قام به في خريطيته اذ يقول وقد رسمنا في الجغرافية كل اعجوبة في موضعها، وكل نهر في موضعه ، وكل جبل في مكانه وكل بحر في موضعه ، كما بلغ اليانا من كلام من تقدم . واقتصرنا ما شك فيه ، ومارسنا في كتابنا هذا الا ما صح وثبت ، وجعلنا هذا الكتاب مختصرا في ذكر الجغرافية ناطقاً عمما رسم فيها ، وذهبناها لينظر الناس فيها فيعلموا شرقها وغربها وجنوبها وشمالها. وقد صور الزهري على خريطيته صوراً واشكالاً للطيور والمعادن ، ولعل اهم ما في مؤلفه الصلة الوثيقة بين الخريطة والمعارف الجغرافية

٧) القزويني : زكريا بن محمد بن محمود القزويني ١٠٠ هـ / ١٢٠٣ - ١٢٨٣ م

يصف القزويني في كتابه (آثار البلاد واخبار العباد) اقاليم الارض موزعة حسب الاقاليم السبعة ، وفي داخل كل اقليم برد وصف مختلف البلاد واللبن والجبال والجزر والبحيرات والانهار .

ويحتوي الكتاب على خريطة مستديرة للعالم ، وهناك خرائط واشكال اخرى كصورة الكعبة والمسجد الحرام حولها وصورة مدينة تتنيس في بحيرتها (بحيرة المنزلة) وصورة مدينة قزوين ، وصورة مدينة قسطنطينية ومثل هذه

الخرائط تدخل في مجال عناية الجغرافيين المسلمين في توضيح الظاهرات الطبيعية والبشرية بأشكال توضيحية ، وتأكد الصلة بين الجغرافية والخرائط عند الجغرافيين المسلمين .

(٨) ابن سعيد المغربي : ابو الحسن علي بن موسى بن عبد الملك بن سعيد ١١٠ هـ / ١٨٠ هـ

لقد اتخد بن سعيد من منهج الاذرسي اساسا للدراسة ، بالإضافة إلى مصادر أخرى وخاصة كتاب الخوارزمي ثم ما نقله عن الرحالة من امثال ابن فاطمة وكذلك ما جمعه من خلال رحلاته التي شملت مناطق واسعة واستغرقت ، قرابة عشرين عاما ، وقد بدا اولا برسم خطوط الطول والعرض ودرجاتها ودقائقها على صفحة كبيرة ثم مضى يقرأ قوائم الخوارزمي في صورة الأرض ، موقعا كل مدينة او جبل او نهر او بحيرة في موضعها على الصحفة . وهكذا أصبحت امامه خريطة هندسية للعالم المعلوم في عصره ، ثم عاد فضم الاقاليم إلى أجزائها متبعا في ذلك منهج الاذرسي ، ومعتمدا على خرائطه بدليل ما يكرره مرارا من قوله على ما صور في الجغرافية .

ولقد استخدم العرب الألوان في رسم الخرائط فلم تصبغ الجبال التي ليست متجانسة بلون واحد بل قسم منها صبغ بلون احمر او أحمر مشبع او اصفر او اصفر مشبع او كمد ، او رمادي او وردي او لازوردي او اصفر تبني او اصفر كدر او زيتني او حديدي .

ويظهر أن الأصباغ كانت توضع في سبيل التزيين وليس كمصطلاح كما هي الحال اليوم . وقد استمر العرب باستعمال الأصباغ في خرائطهم فالمدن مثلا اما ان تكون دائرة او على شكل قباب او مستويات وكل مدينة بلون .

اما الوان البحار فانها أما الزرقة أو الخضراء المائلة اليها أما الحدود فانها ترسم خطأ ممتدأ ، اذ انهم يصطلحوا على الحدود بعلامة فارقة . ولم يستعمل العرب بصورة عامة مقاييس الرسم بل ترك للدرس والمتتبع استنادا إلى البعد بين درجة وآخرى بالامياں وممثل ذلك البعد على الخريطة . وحساب مقاييس الرسم من ذلك سهل ميسور ومع هذا فانهم لم يذكروا على خرائطهم مقاييس الرسم لا اشاره ولا منهجا.

بالاضافة إلى استخدام الألوان في رسم الخرائط ، فان الجغرافيين العرب كانوا يستخدمون رموز او صور اصطلاحية لتمثيل الظاهرات الطبيعية والبشرية على الخرائط فمثلا اذا ارادوا التعبير عن الجبال وكانت سلسلة متصلة تأتي في صورة صفوف او خط متعرج او مقوس للدلالة على الارتفاعات .

اما النطاقات ذات التكوينات الرملية ، فتتعدد هذه النطاقات بخطوط واضحة وتميز بالتنقيط للدلالة على التكوينات الرملية السائدة على نحو ما نجد في السهل الساحلي الشمالي لشبه جزيرة سيناء ، كما ترسم الانهار بخط مزدوج او خطين متوازيين مع مراعاة الفرق بين عمود النهر (المجرى الرئيسي) وبين روافده .

فالمحرى الرئيسي تغلب عليه الاستقامة ، في حين تتصرف بالروافد بالانثناء واحيانا تكون هي الأخرى خطوط متوازية مستقيمية .

اما الظاهرات البشرية ، فقد مثلت المدن والاقطاع برموز متعدد كالدواير وانصافها وميزوا بين احجام المبين باختلاف احجام الدواير من جهة و بازدواج محيط الدواير . ومثلت الطرق بخطوط مفردة تربط بين مراكز الاستقرار التي تمر بها سواء في ذلك رسم شبكة الطرق الداخلية في كل اقليم او الطرق الخارجية التي تربط الاقليما بما حوله من الاقليما .